كلية اللغات والآداب والفنون

الأستـــــاذة : نعيمة بويغرومني

شعبـــــة : الدراسات العربية

الفـــصـل : الثالث

الحصـــــة : النقد القديم

الأســـدوس :الخريفي

الموسم الجامعي: 2021/2020

4_ تطور النقد العربي

لقد كان من الطبيعي أن تتطور هذه الملاحظات النقدية (ملاحظات الخلفاء الراشدين) مع اتساع رقعة العالم الإسلامي وكثرة الحواضر بالعراق والحجاز والشام ومصر، ونتيجة لمجموعة من الأسباب أهمها :

-1- أسباب مرتبطة بالبحث في إعجاز القرآن الكريم : فقد كان للقرآن الكريم أثر مباشر و أثر غير مباشر على تطور النقد العباسي تحديدا ، أما الأثر المباشر فبفضل جهود العلماء الذين تعرضوا لأسلوب القرآن وبيان جوانبه البيانية، واستخدموا في ذلك الوسائل التي استخدمها نقاد الشعر، بل إن بعض الدراسات القرآنية في القرن الثالث الهجري قد استخدمت من المصطلحات البيانية ما لم يكن شائعاً حتى ذلك الوقت في دراسات نقد الشعر.

وأما عن الأثر غير المباشر فقد جاء عن طريق ترقيق القرآن لأذواق النقاد، مما جعل العلماء يستشهدون بصياغته، وتشبيهاته .

وعلى ذلك، ظهرت مجموعة من الدراسات القرآنية في تلك المرحلة تعد من صميم النقد، وذلك لأنها كانت تحاول فهم النص والتعرف على ظواهر الاستعمال اللغوي والتركيبي والإشارة إلى ما فيه من وجوه الإعجاز).

-2- أسباب لغوية : وتمثلت في تتبع اللغويين لأخطاء الشعراء وخروجهم عن اللغة المعيارية ،وفي هذا السياق كانت مجالس الخلفاء تكتظ باللغويين من مثل الكسائي والأصمعي ، فكان لابد للشعراء أن يروقهم حتى ينالوا استحسانهم.

ويسوق المرزباني في كتابه "الموشح" فصلا طويلاً (من الصفحة 443 وما بعدها) يصور فيه كيف كان الشعراء يعرضون أشعارهم على اللغويين ليجيزوها لهم، فهم قضاة الشعر وصيارفته، وفي ذلك يقول الخليل بن أحمد لابن مناذر: " إنما أنتم – معشر الشعراء- تبع لي، و أنا سكان السفينة إن قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم وإلا كسدتم".(أنظر الأغاني)وفي رواية أخرى " و أنا كراكب السفينة" ومعنى نفقتم راجت بضاعتكم واشتهر شعركم ,ومعنى كسدتم أي لم يحظ شعركم بالقبول ولم تكتب له الشهرة

-3- أسباب بلاغية : تمثلت في البحث عن الجوانب الجمالية للغة .

-4- أسباب ثقافيـــــــة : وقد تمثلت في نقطتين محوريتين : حركة التأليف والترجمة و غزارة الثقافة وتعدد روافدها وتنوع ألوانها .

أ – حركة التأليف والترجمة : نشطت حركة النقل والترجمة في هذا العصر، وأدى هذا إلى إثراء الأدب والنقد بما ترجم من فلسفة اليونان ومنطقهم. كما أثرى كذلك بالمترجم إلى العربية من قصص الهند وأدب الفرس، وكان للعرب الذين يجيدون الفارسية وللفرس المتعربين مجال كبير في الأدب العربي،فأنتجوا أدبا عربياً فيه معاني الفرس وبلاغة العرب، وكبار الكتاب والشعراء في هذا العصر من أصول فارسية، ممن أحدثوا آثاراً واسعة في الكتابة الفنية، وكذلك في أغراض الشعرومعانيه وأوزانه وقوافيه،

والحق أن ترجمة الكتب الى العربية كانت عاملاً قوياً من العوامل التي دفعت النقد العباسي الى الأمام،

وقد ظهر أثر ذلك العامل واضحاً أيضاً في النقد العربي وخاصة الأثر اليوناني، أو الفلسفة والمنطق اليونانيان، وأول ما ظهر أثرهما كان عند المتكلمين الذين رأوا حاجتهم الملحة للفلسفة حتى يدفعوا المطاعن عن القرآن.

وظهرت آثارهذا في القرن الرابع الهجري بوضوح، عند قدامة بن جعفر في كتاب (نقد الشعر)، وكتاب (نقد النثر) المنسوب إليه. كما ظهرت عند الرماني في كتابه (النكت في إعجاز القرآن)، وظهر ذلك عند نقاد القرن الخامس كالباقلاني في (إعجاز القرآن)، و ابن سنان الخفاجي في (سر الفصاحة).

-ب- غزارة الثقافة وتعدد روافدها وتنوع ألوانها: لقد ازدهرت الحياة الثقافية ازدهاراً كبيراً، وتلاقت في الحواضر الإسلامية شتى الثقافات التي تمثل حضارات الأمم العريقة في العلم والثقافة، وقد أزكى الإسلام جذوة المعرفة في نفوس العرب، ودفعهم دفعا إلى العلم والتعلم، ولم يمض نحو قرن حتى وضعت أصول العلوم اللغوية والدينية.

وقد أثرت هذه الثقافات في النقد تأثيراً كبيراً ،وكانت من أقوى عوامل ازدهاره لأنها وجهته لمعايشة قضايا عصره، وجعلته يبعد عن اللمحات والآراء العاجلة، و انتحى ناحية منهجية.

فكانت مجالس الخلفاء والوزراء الأمويين والعباسيين عامرة بالآراء النقدية،كما ظهرت الموازنات بين الشعراء والأدباء ،وقد مهد كل ذلك لظهور مؤلفات نقدية عديدة بداية من القرن الثاني الهجري مع الأصمعي و أبي عبيدة و ابن سلام الجمحي ، ثم بعد ذلك مع ابن قتيبة وقدامة بن جعفر والقاضي علي بن عبد العزيز ،وأبي هلال العسكري والباقلاني والثعالبي و ابن رشيق وعبد القاهر الجرجاني و ابن بسام الشنتريني ، وصولا إلى القرن السابع الهجري مع ابن حازم القرطاجني و ابن خلدون وغيرهم من رواد النقد المنهجي وأعلامه.

المحاضرة الثالثة (قضايا نقدية)

عناصر المحاضرة

(1)قضية القديم والمحدث

(2) قضية الصنعة والطبع

(3) قضية الصدق والكذب

(4) قضية السرقات الشعرية

-1- قضية القديم والمحدث

نشأت هذه القضية بين :

1- أنصار الشعر القديم وهم غالبا من اللغويين

2 –أصحاب المعيار الفني وهم النقاد والبلاغيون.

فقد كان أنصار القديم يفضلون الشعر الجاهلي فقط لأنه قديم ، وهذا معيار زمني لا يلتفت إلى جودة الشعر نفسه، فالشعر الجاهلي عندهم جيد لأن اللغة العربية فيه لم تكن مختلطة وكانت ما تزال منحصرة في البيئة العربية ،ومن هؤلاء الذين كانوا يناصرون الشعر القديم نذكر الأصمعي و ابن الأعرابي الذي قال بأن "أشعار المحدثين مثل الريحان يشم يوما ثم يذوي فيرمى به أما أشعار القدماء فمثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا"

وبلغ به تفضيل القديم أن قال بعد أن سمع شعر أبي تمام:" إن كان هذا شعرا فما قالته العرب باطل"

وكذلك قال عمرو بن العلاء عن الشعر المحدث " لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياتنا بروايته"

وقال أيضا "لو أدرك الأخطل يوما من الجاهلية ما قدمت عليه أحدا " وهذا دليل بأن شعر الأخطل كان جيدا ولكن لا يمكن وضعه في أعلى مرتبة كونه لم يعش في الجاهلية .

وقال عن شعر جرير و الفرزدق :" لقد حسن هذا الشعر حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته "ومن ذلك مثلا إعجاب ابن الأعرابي بقول أبي تمام :

وعاذل عذلته في عذله فظن اني جاهل من جهله

فقال لكاتبه:" خرق خرق "

نستنتج أن أصحاب هذا الاتجاه كانوا يرفضون الشعر الجيد فقط لكون قائله شاعر محدث.

وقد اشتد الصراع بين الفئتين حتى اتهم سيبويه بالاستشهاد بشعر بشار بن برد خوفا من هجائه,

وقد مثل جواب أبي تمام عن سؤال أبي سعيد عندما سأله:" لماذا لا تقول ما يفهم ؟" نقطة صراع بين المقلدين والمجددين حيث قال له:" و أنت يا أبا سعيد،لماذا لا تفهم ما يقال؟"وهذا يبين الصراع بين مقلدين ومجددين.

وقد كان الشاعران البحتري وبشاربن برد يرفضان أحكام علماء اللغة على الشعر فالبحتري كان يقـــــول: "الذي يستطيع أن يحكم على الشعروجماليته هو من دفع في مسلك الشعر إلى مضايقه و انتهى إلى ضروراته" وكذلك قال بشار :"إنما يعرف الشعرمن يضطر إلى أن يقول مثله"وقد أكد القاضي الجرجاني هذا الصراع حيث قال بأن النقاد كانوا أحيانا يستحسنون بعض الشعرولكن إذا علموا أن قائله محدث كذبوا أنفسهم وناقضوها ".وهذا يعني تعصب لزمن معين وهو العصر الجاهلي.

في المقابل كان للنقاد موقف مختلف، فالجاحظ في كتابه " البيان والتبيين "كان يفضل كثيرا من الشعر المحدث ويرويه مستحسنا إياه،كما أن ابن قتيبة كان له موقف متكامل ،فقد رفض فكرة الزمن وتفضيل الشعرلمجرد كونه قديما ،لأن الله لم يقصر العلم والشعروالبلاغة على زمن دون زمن .

فكذلك فعل ابن طباطبا العلوي في كتابه " عيار الشعر"عندما رفض المعيار الزمني والآمدي في "الموازنة" والقاضي الجرجاني في "الوساطة "و ابن رشيق في "العمدة "وعبد القاهر الجرجاني في "أسرار البلاغة."

أما ابن شهيد الأندلسي،(بضم الشين) فقد كانت له نظرة دقيقة حيث قال بأن قضية الجودة هي مسألة نسبية غيرثابتة،وما يكون في هذا الزمان مستحبا ومقبولا قد لا يكون كذلك في زمن آخر ، فلكل عصربيان ولكل دهر كلام ولكل أمة نوع من الخطابة والبلاغة،فمثلا أبدع أبو نواس وبشارفي البديع وجاء بعدهما أبو تمام فأسرف في التجنيس وطاب ذلك منه.